أثرُ التَّقدير في تحويل الأنماط الانفعاليَّة إلى أنماطٍ خبريَّة النِّداء أنموذجاً

د. تيسير هارون علي النَّوافلة
وزارة التربية والتعليم الأردنية
مديرية التربية والتعليم للواء البترا.
tyseer.nawafleh@gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مستخلص:

يرمي هذا البحث إلى دراسة أثر التّقدير في بنية أسلوب النّداء، ودوره في تحويله من نمط انفعاليّ إلى نمطٍ خبريّ، إذ أدّى تقدير النُّحاة للفعل النّاصب في جملته إلى تحويل هذا الأسلوب عن طبيعته، وإخراجه عن القصد الإنشائيّ الذي وُجِد لأجله إلى لفظ الخبر، إذ يصبح مقصود النُّحاة من هذا التقدير هو تَسْويغ حركة النّصب في بعض الأداءات، كالمنادى المضاف، والنّكرة غير المقصودة، زيادة على إقامة عُنْصريّ الإسناد.

وهذا التّقدير في بنية مثل هذه المركبات غير الإسنادية، لا يتحقّق في عمليّة التواصل التي تهدف إليها اللغة، ولا يُحقّق غايتَها، وإنّما هو جانب من جوانب عملية التفكير النّحوي الذي سيطرت نظرية العامل على معظم تفسيراته، وهذا يجعل من باب المنادى في النّحو العربيّ خاضعاً لمستوى التّحليل اللغوي في كثير من جزئيّاته، ويبعده عن مستوى التّركيب اللغوي.

الكلمات الدّالة: (النداء، التقدير، تحويل، انماط انفعالية، انماط خبرية).

The Impact of Estimation in Transforming Declamatory Patterns into Informational Patterns Vocative Style as a Model

Abstract

The aim of this research is to study the impact of estimation on the structure of the vocative style and its role in transforming it from a declamatory pattern into an informational one. The estimation of the subjunctival verb by grammarians resulted in a diversion in the nature of this style thus changing the purpose from compositional to informational. The aim of grammarians is to allow and justify the use of the subjunctive Harakah in some cases such as genitive vocative, unintended Nakerah (common nouns), in addition to the elements of predication; the subject and predicate.

The estimation of non-predicative structure cannot be achieved through the communication process, which is the aim of the language, and at the same time cannot achieve its aim. However, it is one aspect of the syntactic thought which is controlled by the factor theory (the causative agent of Al-Harakah) and as a result affects most of its interpretations. Consequently, the major part of the Vocative Bab becomes controlled by the linguistic interpretation level that makes it beyond the linguistic structure level.

Keywords: Vocative, Estimation, Diversion, Declamatory Patterns, Informational Patterns

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة:

شغلت قضية العامل نحاة العرب منذ نشأة النحو العربي، وكان شغلهم منبثقاً مما وضعوه من قواعد تتعلّق بالحركات الإعرابية، ومن ذلك إقرارهم بأنّ الفتحة علمُ المفعولية، ولمّا كانت نظرية العامل – في الأصل- تفرض على الفكر النحوي العربي مسألة وجوب وجود العامل؛ اخذ النحاة يقدّرون في بنية تراكيب اللغة وانماطها بحثاً عن ذلك العامل سواء كان ظاهراً في الكلام، ام مضمراً ام مقدّراً، وهذا يُحقّق للنحاة نمطية الجملة، ويُثبت شمولية قواعدهم.

ومن هنا تكمن مشكلة هذا البحث، إذ ظهرت في اللغة انماط لغويّة لا تحتمل وجود ذلك العامل بعناصرها الظاهرة، لأنها- في الأصل- صدرت عن ابن اللغة للتعبير عن معانٍ إفصاحية، ولكن النُّحاة اخذوا يبحثون عن هذا العامل خارج بنية هذه الأنماط، ومنها نمط (النداء)، إذ وجدوا ان تقدير عامل النصب فيه يحقق لهم غايتين: اولاهما إقامة عناصر الإسناد في الجملة واكتمالها، مما يحقق الاتساق للقاعدة النحوية، وثانيهما: أن هذا العامل الفعلي يسوّغ الحركة الإعرابية، وهي حركة النصب، وكل هذا جاء دون النظر إلى الدلالات الإفصاحية والانفعالية التي يؤديها اسلوب النداء.

لذا، فإنّ هذا البحث يهدف إلى دراسة اثر ذلك التّقدير في بنية اسلوب النِّداء، ودوره في تحويله من نمط انفعاليّ إلى نمطٍ خبريّ، وبيان إنّ هذا التقدير لا يفضي إلى الدلالة الانفعاليّة لأسلوب النداء بأيّ شكلٍ من الأشكال، وبيان دوره -كذلك- في تفكيك بنية مثل هذه الأنماط، والتقليل من إفصاحها ودلالتها على الانفعالية التي تنتاب المتكلّم حين يصدر اداءاته اللغوية، إذ إنّ النداء يعدُّ من الأنماط الانفعالية التي لا تحتمل التقدير في بنيتها، إذ لا يُحلّل إعرابياً كما تُحلّل المركّبات الإسنادية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمّا منهج البحث، فكان وصفياً تحليلياً، وهو منهج يصف الظاهرة اللغوية، ثمّ يعمد إلى تفسيرها وتحليلها في المواضع التي تحتاج إلى ذلك، مع الاستفادة من مستويات التحليل اللغوي.

وبعدُ، فإنّني آملُ من الله العلي القدير أن أكون قد وفّقتُ في عرض هذا الموضوع عرضاً علمياً مُوفِّيه حقّه، وإن كان ثمّة خللٌ أو خطا فتلك سمات البشر.

والحمد لله ربِّ العالمين

النِّداء وأقسامه

النداء وفقاً لتعريف ابي البقاء الكفوي هو إحضار الغائب، وتنبيه الحاضر، وتوجيه المعرض، وتفريغ المشغول، وتهييج الفارغ، وأما على المستوى الاصطلاحي، فهو تصويت بمن تريد إقباله عليك لتخاطبه[١].
وقد عرّفه الشريف الجرجاني تعريفاً ينطلق من نظرية العامل، فقال: "المنادى هو المطلوب إقباله بحرف ناب مناب (ادعو) لفظاً او تقديراً"[٢].
وقد جاء المنادى في النحو العربي، وفق الأقسام الآتية[٣]:

١. المنادى المضاف: وهو المنادى الذي رُكِّبَ تركيباً إضافياً، اي من المضاف والمضاف إليه، نحو: يا عبدَ الله فـ(عبدَ الله) منادى مضاف، وهو منصوب على أيّ حال.

٢. المنادى النكرة: ذكر سيبويه انّ الخليل استعمل مصطلح المنادى النكرة[٤]، ثم درج البصريون بعد ذلك على استعماله وتحليله[٥]، والنكرة نوعان نكرة مقصودة وحكمها البناء على الضم، نحو: يا رجلُ، ولا تنوّن، ونكرة غير مقصودة، وحكمها النصب نحو: يا رجلاً خُذ بيدي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣. المنادى المضارع (الشبيه بالمضاف): وهو ما اتّصل به شيء من تمام معناه، نحو: يا طالعاً جبلاً، وحكمه النصب، وذكر سيبويه أن الخليل كان يرى أن العرب نصبته طلباً للخفة(٦).

٤. المنادى المفرد: وهو قولك: يا زيدُ، ويا عمروُ، ويا خالدُ، وهو مبني على الضم في موضع نصب عند البصريين جميعاً، واستُعمل مصطلح (المنادى المفرد) عند سيبويه(٧).

٥. المنادى المبهم: وهو قولك: يا أيُّها الرجلُ، ويا هذا الرجل، وشبهه، فـ(أيٌّ) منادى مبهم، والرجل وصف له، وكذلك هذا، وسائر أسماء الإشارة، على أنّ هذا النوع ليس بمنادى في الحقيقة، فالرجل هو المنادى الحقيقي، وقد أدرك النحويون هذا، ولكنهم بحاجة إلى توضيح وجود (أيُّها) أو أسماء الإشارة في مثل هذا التركيب، وإنّما كان أولى أن يعللوا وجود هذه التراكيب بأن العملية الصوتية تستقيم أكثر بوجودها، فالغرض من وجودها صوتي، وهو التوصل لمناداة ما فيه الألف واللام(٨).

ممّا سبق يظهر أنّ استعمال النحاة للمصطلحات الدالة على النداء منطلقة من أمرين: الأمر الأوّل: المعنى الذي يؤديه أسلوب النداء من دعوة المخاطب وتنبيهه وطلب إقباله، والأمر الآخر: قضية العامل، ذلك الذي قدّره النحاة في جملة النداء بـ(أدعو) أو (أنادي)، لذا استعمل معظم النحاة مصطلح النداء أو المنادى(٩)، كما استعمل نحاة آخرون مصطلح الدعاء(١٠) والمدعو(١١).

أنماط المنادى المنصوبة

لمّا وجد النُّحاة بعض أنماط النداء منصوبة، كالمضاف، والشبيه بالمضاف، والنكرة غير المقصودة، أقاموا قاعدتهم على اعتبار أنّ المنادى مما يُحمَل على باب المفعول به، استناداً إلى وجود الفتحة، المرتبطة عندهم بالمفعولية، إذ إنّ المتتبِّع لأقوال النحاة حول هذا الأسلوب، يجد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنهم حاولوا جاهدين إلى التقدير في بنيته التركيبية؛ تبريراً لحركة المنادى الإعرابية وهي (الفتحة) هذا من جهة، وتحقيقاً لعناصر الإسناد (المسند والمسند إليه) من جهة اخرى، وكلُّ ذلك ليسوّغوا حمله على باب المفعول به، إذ نجد ذلك عند سيبويه عندما قدر[١٢] (يا عبدَ الله) بـ(يا، اريدُ عبدَ الله)، وعندما قدّر الخليل (إيّاكَ) بـ(إيّاكَ اعني)[١٣]، فعند سيبويه النداء كلُّه منصوب[١٤]، و"يظهر نصبه إذا كان مضافاً نحو: يا عبدَ الله، يا رجلَ سوء، وشبيهاً به نحو: "يا خيراً من زيدٍ"، أو نكرة غير مقصودة كقول الأعمى: يا رجلاً خُذ بيدي"[١٥]، وقول الشاعر[١٦]:

أيا رَاكِباً إمّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرانَ الا تَلاقِيا

ثم صَرّح المبرد بأن المنادى مفعول به، إذ قال: "فإذا قلت: يا عبدَ الله، فقد وقع دعاؤك بعبد الله، فانتصب على أنّه مفعول تعدى إليه فعلُك"[١٧]، وهو كذلك عند نحاة البصرة[١٨].

ويظهر لنا أنّ تقديرات النحاة السابقة في بنية أسلوب النداء، ونظرتهم حول عدِّ المنادى فيه مفعولاً به، قد انطلقت من نظريتين سادتا التفكير النحوي العربي[١٩].

النظرية الأولى: نظرية العامل التي تفرض على الفكر النحوي العربي مسألة وجوب وجود العامل، ولمّا كان المنادى منصوباً أو في موضع النصب، فإنّه لا بُدّ له من ناصب، ولما كانت الجملة لا تحتمل وجود ذلك الناصب بعناصرها الظاهرة، فقد بدأوا يبحثون عنه خارج بنيته.

النظرية الثانية: هي نظرية الإسناد التي راى النحويون انّها تسيطر على جميع الأنماط الجملية في العربية، ولتكون الجملة سوية، لا بُدّ ان تكون إسنادية تشتمل على عنصري الإسناد (المسند والمسند إليه)، فإن لم يكونا موجودين، فلا مناص من تقديرهما، ولما كانت جملة النداء جملة غير إسنادية في بنيتها الظاهرة، فقد لجأ النحاة إلى المعنى لحفظ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القاعدة، فوجدوا أن معنى جملة النداء في المحصلة النهائية هو (ادعو او انادي)، وهو العامل المحذوف الذي يحقق لهم عناصر الإسناد؛ لأنّ الفعل (أدعو) مكوّن من الفعل (المسند) والفاعل (المسند إليه)، ويسوّغ لهم كذلك الحركة الإعرابية وهي الفتحة، التي كانت -في الأصل- سبباً شكلياً دفع النحاة إلى حمل المنادى على باب المفعول به، مع انّ النّظر المباشر لجملة النداء لا يسعفنا في التماس معنى المفعولية الحقيقية في تركيبه.

إذ إنّ تقديرات النُّحاة وتأويلاتهم في بنية هذا الأسلوب، ما هي إلا محاولة منهم لحمل المنادى على باب المفعول به، وضمّه إليه حتّى دون أن يرتبط مع حالة المفعولية الحقيقية بأي علامة جوهرية، فعلامة المفعول به الجوهرية، هي تشكّلُ الصورة الذهنية التي تفضي إلى تصور وقوع الحدث على المفعول به في الزمن الذي يمثّلُه هذا الحدث، فعندما نقول: أكلَ الرجلُ الفاكهةَ، فإنّه يتشكّلُ في ذهن أبناء اللغة أو الذين يعرفونها صورة ذهنية توضح الحدث (الأكل)، ومن وقع عليه (الفاكهة)، في حين أن المنادى لا تتضح فيه هذه العلاقة، الأمر الذي دفع النحويين إلى توظيف العلامات الشكلية التي تسوّغ ضم المنادى إلى المفعول به[٢٠] كوجود الفتحة على آخر النمط المنصوب، التي لا تدل على الحقيقة الجوهرية للمفعولية، لذلك وجدنا انّ الخليل -رحمه الله- كان يعلل نصب المنادى المضاف والنكرة بأنّه يعود إلى رغبة العرب في طلب الخفّة، لأنّ الفتحة حركة خفيفة مستحبّة عندهم، يقول سيبويه: "وزعَمَ الخليل -رحمه الله- انّهم نصبوا المضاف، نحو: يا عبدَ الله، ويا أخانا، والنكرة حين قالوا: يا رجلاً صالحاً، حين طال الكلام"[٢١]، ومعنى طول الكلام هنا هو أن النصب لم يكن مرتبطاً بعامل من العوامل، سوى الصعوبة المتحصلة عن هذا الطول، علماً أن سيبويه هو أول من حكم على أنّ المنادى منصوب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، وأنّ المنادى المفرد (رفعٌ) في موضع نصب[٢٢].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالمنادى مركب لفظيّ حقه أن ينصب لا لأنه مفعول (أدعو) او (أنادي)، إذ ليس فيه معنى الفعل المتعدي الدال على الحقيقة الجوهرية للمفعولية، وليس فيه إسناد، وان حركته ليست اثراً لعامل، ولكنها - كما يرى بعض المحدثين- حركات لا بُدّ لها من وصل الكلام، كما انّ من حقه أيضاً أن يكون منصوباً؛ لأنّه ليس مسنداً إليه فَيُرْفع، ولا بمضاف فيُجر، وحروف النداء تدل على التنبيه أصالةً لا نيابةً[٢٣].

فإذا كان النحاة يربطون حمل المنادى على المفعول به بدلالة حركة الفتحة على المفعولية، نجد من الباحثين من يربط حركة المنادى بوظيفته اللغوية، وهي طلب الإقبال والانتباه، ثم يوضح ذلك بانّه إذا كانت الحركات من حيث الوضوح (أي الوضوح السمعي) على درجات، فأوضحها الفتحة ثم الضمة ثم الكسرة[٢٤]، فإنّهم تركوا الكسرة لرخاوتها وهبوط درجة وضوحها، فبقيت حركتان: الضمة والفتحة، فاختصت الضمة بالمنادى المفرد والنكرة المقصودة؛ لأنّ إقبال المنادى وضمه ومد الصوت فيه وفي الأداة التي قبله أمور كافية لإسماعه، واختصت الفتحة بالنكرة غير المقصودة وبالمنادى المضاف والشبيه به، لأنّ غير المقصود يحتاج إلى حركة واضحة لإسماعه، والفتحة وتنوينهما من أنسب الأصوات له[٢٥]، أي إنّ هذا الرأي يربط بين الحركة الإعرابية واستعمال أسلوب النداء من حيث إنّه أداء انفعاليّ إنشائيّ، لا من باب الصناعة النحوية وتكلّفاتها.

ويظهر لنا انّ تحقيق نمطية الجملة، وإثبات شمولية القاعدة أمر سيطر على التفكير النحوي لدى النحاة، وقضية شغلتهم أكثر من مسألة انّ مثل هذه الأنماط تعدّ انماطاً انفعالية، إذ إنّ تحليلهم لبنية أسلوب النداء يحول دون ظهور الدلالات الإفصاحية التي يؤديها أسلوب النداء كأداءٍ انفعالي، إذ نُقلت دلالة ذلك النمط الانفعالي إلى دلالة أخرى لا تتعلّق بواقع الاستعمال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا يدلُّنا على انّ اسلوب النداء لا يُحلّل إعرابياً، كما تُحلّل المركبات الإسنادية[٢٦]، لأنّ الفعل المضمر فيه لو تُكلّفَ إظهاره فقيل: (ادعو زيداً وانادي زيداً) لاستحال امر النداء، إذ سيُصار إلى لفظ الخبر المحتمل الصدق والكذب، والنداء مما لا يصحّ فيه تصديق ولا تكذيب[٢٧]، فأسلوب النداء يتكوّن من اداة نداء ومنادى، إذ لا يُؤدّى هذا الأسلوب بغير هذا اللفظ، وإنّ حَذْفَ الأداة وإقامة الفعل الذي قدّروه يذهبُ بالدّلالة المقصودة من أسلوب النداء، ويتحوّل الكلام به من كونه إنشاء إلى كونه خبراً[٢٨]، فالسّيوطي يعدّ قصد الإنشاء سبباً لإضمار العامل في المنادى؛ لأنّ إظهاره يوهم الإخبار[٢٩]، إذ من العبث تحميله ما لا يحتمل؛ لأنّ هذا التحليل يُحيلُ إلى تعبيرٍ آخرَ لا دلالة له على المعاني التي يؤديها النداء كنمطٍ انفعالي.

ومن وجهة نظرٍ تداولية فإنّ ابن اللغة حينما نطق بأسلوب النداء مثلاً، فإنّه لم يكن يسعى إلى تحقيق دلالة المفعولية في نطقه لهذا الأداء كما سعى لذلك النحاة، لأنه يُخْرج اداءاته وفق ما تقتضيه المواقف الاستعمالية، لا كما تفرضه عليه جبرية القاعدة، إذ لم تأتِ الفتحة في آخر الاسم المنادى لدلالة النصب، بلْ هي حركة خفيفة مستحبة في النطق العربي جيء بها للتعبير عن دلالاتٍ مقصودةً كإحضار الغائب، وتنبيه الحاضر، وتوجيه المعرض، وتفريغ المشغول، فظهورها جاء لأداء قيمةٍ دلاليةٍ إفصاحية، تَحْمِلُ التركيبَ إلى تحقيق اغراضٍ تواصليّة بين أبناء المجموعة اللغوية، وهذا امرٌ تهدف اللغة إلى تحقيقه.

والنحاة في هذا المقام، حين سعوا إلى التقدير والتأويل في بنية أسلوبْ النداء، جعلوا من جملة النداء جملة فعلية، كما هي الحال في جعلهم جملةَ نعم وبئس وجملة التعجب من هذا القبيل أيضاً، وهذا مما لا يراه بعض المحدثين كعبد الرحمن أيوب، إذ ليس من الممكن أن تعد جملة النداء من الجملة الفعلية لمجرد تأويل النحاة لها بعبارات فعلية، فالجمل عنده –اي عند عبد الرحمن أيوب- جمل إسنادية وجمل غير إسنادية، فالإسنادية تنحصر في الجمل الإسمية والجمل الفعلية، اما الجمل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غير الإسنادية فجعل منها جملة النداء والتعجب وجملة نعم وبئس، ومع هذا فقد أفرد النحاة القدماء جملة النداء في باب قائم بذاته، كما أفردوا لجملة التعجب ونعم وبئس ابواباً قائمة بذاتها[٣٠]، وهذا يدل على انّهم ينظرون إلى هذه الجمل ومن بينها جملة النداء نظرة تركيبية خاصة، تختلف عن نظرتهم إلى الجمل الإسنادية التي تتوافر فيها عناصر الإسناد بوضوح، وربّما تمثّلت هذه النظرة بأنها تراكيب تدلّ على اساليب مخصوصة تحمل دلالات معيّنة، غير انّ هذه النّظرة لم تمنعهم من التقدير في بنيتها، لتحقيق العلاقات الإسنادية، وتسويغ النصب، حملاً على باب المفعول به.

لذا؛ فإنّ التقدير السابق التي تكلّفه النحويون في البنية التركيبية لأسلوب النداء، ممّا لا يمكن إخضاعه للعمليّة اللغويّة، بل هي جانب من جوانب التفكير النحوي، الذي يخضع لمستوى التحليل اللغوي، لا لمستوى التركيب اللغوي، وهذا التفكير دعت إليه نظرية العامل التي طالت معظم التفسيرات النحوية الخاضعة له؛ بسبب وجود الحركة الإعرابية (وهي الفتحة) على آخر الاسم المنادى، إذ يصبح المقصود هو تسويغ حركة النصب في بعض الأداءات، كالمنادى المضاف، والنكرة غير المقصودة، زيادة على إقامة عناصر الإسناد. إذ تبيّن لنا أن النحاة بذلوا جهداً كبيراً خلال تقديراتهم للبحث عن عامل النصب من اجل تحقيق نمطية الجملة وشمولية القاعدة، والبحث عن عناصر الإسناد فيها، إذ إنّ هذا التقدير في البنية التركيبية لأسلوب النداء، لا يتحقّق في عمليّة التواصل التي تهدف إليها اللغة من مثل هذه الأداءات الانفعالية، ولا يُحقّق غايتها، إذ يحوّل هذا النمط الإنشائي الانفعالي إلى نمط خبري يحتمل التصديق والتّكذيب.

وثمّة نقطة مهمة في هذا الأداء الانفعالي تستوقف الباحثين، وهي أنّ التقدير، واعني تقدير عامل ينصب المنادى هو (ادعو او انادي)، يقتضي بالضرورة ان يكون نمط النداء جملة تامة، والحقيقة التي ادركها الباحثون أن نمط النداء لا يفيد معنى متكاملاً إلاّ بوجود الجواب او المقصود من النداء، فعندما نقول: يا خالدُ!، فإنّه يبقى في النفس شيء،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى إذا قلنا: أقبلْ، اكتمل المعنى، وحَسُنَ السكوت على العبارة[٣١] وعلى هذا فالنداء "شيء يفتقر إلى الحدث بعده"[٣٢]، وهذا يدل دلالة واضحة على أنّ تقديرات التي أحدثها النحاة في بنية هذا الأسلوب لا تُحقّق الفائدة التواصلية التي تهدف إليها اللغة. فالنداء مفردة تصويتيّة تدلّ على اسلوب مخصوص وتحمل دلالات معيّنة، ومثلها يعدّ من الأنماط الانفعالية التي إن اخضعناها للمنطق فقد نقلناها من اسلوب إلى آخر، وقطعنا الصلة بينها وبين روحها أو بين منطوقها ونفسية صحبها[٣٣].

أنماط المنادى المبنيَّة

لم يقتصر تقدير النحاة لعامل النصب في انماط المنادى المنصوبة بالفتحة فقط، بل تعدّى ذلك أنماطَ النداء المبنيّة، فالمنادى المفرد العلم المبني على الضم، نحو: (يا زيدُ)، والنكرة المقصودة، نحو: (يا رجلُ) والمنادى المبهم، نحو: (يا أيُّها الرجلُ)[٣٤]، وعلى الرغم من بنائها على الضم، فقد اضطرّ النحويون إلى القول بأنه منادى مبنيٌ على الضم- ولكن في محل نصب مفعول به، لأنّ المنادى في نظر النحاة منصوب، لذا سعوا إلى أن تكون كل أقسامه منصوبة أو في موضع نصب، فذهبوا إلى تقدير العامل في نصب هذه الأنماط والمحذوف وجوباً، وقدّروه بـ(ادعو) او (انادي)، وذلك لتعميم القاعدة وطرد الباب على وتيرة واحدة، أي إنّ المنادى المبني على الضم إذا كان مفرداً -معرفة أو نكرة مقصودة- فهو في موضع نصب، لأنه حينئذٍ يكون مبنياً على ما يُرفع به[٣٥].

ثم ذهبوا -بعد ذلك- إلى تقديم الدلائل التي تسوّغ قولهم أنّ المنادى المبني في موضع نصب، وانه بمنزلة المضاف وإن أُفْرِدَ، لأنّه في النهاية محمول على المفعول به، فقالوا: والذي يدلّ على انّه في موضع نصب أنك تقول في وصفه: (يا زيدُ الظريفَ) فالنصب حملاً على الموضع، كما تقول (يا زيدُ الظريفُ) بالرفع حملاً على اللفظ، كما تقول: (مررت بزيدٍ الظريفِ والظريفَ) فالجر على اللفظ، والنصب على الموضع، فكذلك هاهنا: نُصب لأن المنادى المفرد في موضع نصب لأنه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفعول، ثم يقررون ان هذا هو الأصل في كل منادى، ولهذا بقي (المنادى المضاف والمشبه بالمضاف) على اصلهما في النصب لأنه لم يَعرض لهما ما يوجب بناءهما كالمنادى المفرد[٣٦].

اي إنّهم نصبوا (الظريفَ) في جملة (يا زيدُ الظريفَ) لأنه صفة لمنصوب وإنْ كان مبنياً على الضم، لأن المنادى كله منصوب، ومثله من الشعر قول العرب:

ازيدُ أَخَا وَرْقَاءَ إن كنتَ ثَائراً فقد عَرَضَتْ أَحْنَاءُ حَقٍّ مُخَاصِمِ[٣٧]

والشاهد فيه نصب (اخا ورقاء) جرياً على محل المنادى المفرد (ازيدُ) وهو النصب، لأنه هنا وصفٌ لمنادى في موضع نصب[٣٨].

فمحاولات النحاة السابقة في التقدير ادّت إلى إخراج اسلوب النِّداء من دائرةِ الجمل الإفصاحية إلى دائرة الجمل الخبرية، فَفَقَدَ بذلك دلالاته الانفعالية وحوِّل عن القصد الإنشائي الذي وُجِدَ من اجله إلى لفظ الخبر المحتمل الصدق والكذب، ذلك أن اسلوب النداء إنشائي[٣٩]، إذ إنّ الفعل المضمر فيه "لو تُجشِّمَ إظهاره فقيل ادعو زيداً وانادي زيداً لاستحال امر النداء، فيصار إلى لفظ الخبر المحتمل الصدق والكذب، والنداء مما لا يصحُّ فيه تصديق ولا تكذيب"[٤٠]، أي إنّ الفعل "إذا أُظْهِرَ تغيّر المعنى وصار النداء خبراً"[٤١].

ولا شكّ انّ هذا التقدير في بنية اسلوب النِّداء وإن كان يُحقّق نمطية الجملة واتّساقها، إلا انّه يَحْرفُ العملية اللغوية عن مسارها، ويُفقدها اهدافها التواصلية، وما هذه التقديرات المتكلّفة إلا جزء من عملية التفكير النحوي التّحليلي الذي سيطرت نظرية العامل على معظم تفسيراته، كما يظهر في قولهم: "وإنّما قلنا: إنه في موضع نصب لأنه مفعول، لأن التقدير في قولك: (يا زيدُ) ادعو زيداً او انادي زيداً، فلما قامت (يا)[٤٢] مقام (ادعو) عملت عمله"[٤٣].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتقديرات النّحاة كانت من حرصهم على إثبات صفة المفعولية للمنادى في جميع أنماطه، إذ عملوا على ضمّه إلى باب مفعول به، حتى مع فقده دلالة المفعولية الحقيقية، وحرصهم ذلك جاء دون ان يعطوا اهتماماً بالدّلالات الإفصاحية التي أُنشِئ لأجلها هذا النمط الانفعاليّ، فلا شكّ انّ الدّلالة التي تؤديّها عبارة (يا زيدُ) كنمطٍ انفعاليّ، اكثر كثافةً عمقاً من تركيب(ادعو زيداً) كجملة خبرية، التي لا تحمل سوى الإخبار.

لذا، فإنّ جمهور البصريين حينما قدّروا فعلاً ناصباً للمنادى، تغيّرت طبيعة الأسلوب من الإنشاء إلى الخبر، واصبح رفع الصوت خفضاً له، وانعدمت العلاقة بين (يا زيدُ) الذي يُطْلَبُ الإقبال منه، وتشرئب إليه النفس، ويتطلع إليه السمع والبصر، وبين (ادعو زيداً) الكلام الخبري المتارجح بين الشك واليقين، والصدق والكذب، الذي لا يساعده تركيبه ولا معناه على مد الصوت فيه"[١٤]، إذ إنّ الضمة الظاهرة على آخر الاسم المنادى المبني، تُساعد مَنْ يَصْدرُ عنه النداء على مد الصوت بها كيفما شاء، ومن هنا تظهر الدلالات الانفعالية، لأنّه اسلوب خاص بمن يتلفّظُ به، ولهذا "اقتصر العربي في هذا الأسلوب على الحرف الذي يُراد به التنبيه، والاسم المنادى"[١٥].

الخاتمة:

وفي النهاية، فقد خرج هذا البحث بجملة من النتائج نعرضها كما يأتي:

١. ادى تقدير النحاة للفعل الناصب في جملة النداء، إلى تحويل هذا الأسلوب عن طبيعته، وإخراجه عن القصد الإنشائي الذي وُجِد لأجله إلى لفظ الخبر المحتمل التصديق والتكذيب، ذلك ان اسلوب النداء إنشائي، إذ يعدُّ من الأنماط الانفعالية التي لا تحتمل التقدير في بنيتها، إذ لا تُحلّل إعرابياً كما تُحلّل المركّبات الإسنادية، لذا فإنّ تقديرات النحاة لعناصر الإسناد في مثل هذه الأنماط الانفعالية لها اثرٌ واضحٌ في ضياع معانيها الإفصاحية، وتحويلها إلى انماط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خبرية، لأنّ ابن اللغة حينما تلفّظ بهذه الأنماط، فإنّما نطقها وفق ما يمليه عليه الواقع الاستعمالي، وبما يضمن له تحقيق العملية التواصلية بينه وبين المنادى، لا كما تمليه عليه قواعد اللغة.

٢. إنّ تقديرات النّحاة وتاويلاتهم في بنية هذا الأسلوب، ما هي إلا محاولة منهم لحمل المنادى على باب المفعول به، وضمِّه إليه حتّى دون أن يرتبط مع حالة المفعولية الحقيقية بأي علامة جوهرية، الأمر الذي دفع النحويين إلى توظيف الفتحة كعلامة شكلية تسوِّغ لهم ضم المنادى إلى المفعول به.

٣. إنّ التقديرات التي احدثها النحاة في بنية هذا الأسلوب تجعل من باب المنادى في النحو العربي خاضعاً لمستوى التحليل اللغوي في كثير من جزئيّاته، ويبعده عن مستوى التركيب اللغوي؛ إذ يصبح مقصود النحاة من التقدير هو تسويغ حركة النصب في بعض الأداءات، كالمنادى المضاف، والنكرة غير المقصودة، زيادة على إقامة عناصر الإسناد، كما أنّ هذا التقدير لا يمس العملية اللغوية التي تحكمها قضية التداولية، وإنما هو جانب من جوانب التفكير اللغوي، الذي سيطرة نظرية العامل على معظم تفسيراته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهوامش والإحالات

(١) الكفوي، ابو البقاء ايوب بن موسى الحسيني، (ت: ١٠٩٤هـ)، (١٩٧٦م)، "الكليات" معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، وضع فهارسه: عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ج٤:ص٣٦٤.

(٢) الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٨١٦هـ)، (٢٠٠٣م)، التعريفات، ط٢، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السّود، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص١٨٢.

(٣) انظر: سيبويه، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت: ١٨٠هـ)، (٢٠٠٤م)، الكتاب، ط٤، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، مصر: ج١:ص١٢، والمبرد، ابو العباس محمد بن يزيد، (ت: ٢٨٥هـ)، (١٩٩٤)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، مصر،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ج٤: ص٢٠٢-٢٠٤.

(٤) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج٢: ص١٨٢.

(٥) المبرد، المقتضب، (مصدر سابق) ج ٤: ص٢٠٢، وابن السّرّاج، ابو بكر محمد بن سهل، (ت: ٣١٦هـ)، (١٩٩٦م)، الأصول في النحو، ط٣، تحقيق عبد الحسين الفتليّ، بيروت، لبنان، مؤسّسة الرّسالة، ج١: ص٣٣١.

(٦) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج٢: ص١٨٢.

(٧) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج٢: ص١٨٢.

(٨) عبابنة، يحيى، (٢٠٠٦م)، تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزّمخشري، ط١، عمّان، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، وعالم الكتب الحديث، ص٢١٥.

(٩) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج٢: ص ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، والمبرد، المقتضب، (مصدر سابق) ج ٤: ص٢٠٢، ابن السراج، الأصول في النحو، (مصدر سابق) ج١: ص٣٣٠-٣٣١

(١٠) المبرد، المقتضب، (مصدر سابق) ج ٣: ص ٢٩٨-٢٩٩، ج٤: ص٢٠٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١١) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج٢:ص٢٢٩، المبرد، المقتضب، (مصدر سابق) ج ٣: ص ٢٩٨-٢٩٩، ج٤: ص٢١٦، ابن السراج، الأصول في النحو، (مصدر سابق) ج ١: ص ٣٢٩.

(١٢) ذهب البصريون إلى أنّ العامل هو الفعل المحذوف وجوباً، وتقديره عندهم (ادعو) او (انادي)، لأنّ التقدير في قولك: (يا عبدَ الله) ادعو عبدَ الله، او انادي عبدَ الله، وقد حُذف لكثرة الاستعمال، فلما قامت (يا) مقام (ادعو) عملت عمله، وذهب بعض البصريين إلى ان (يا) لم تقم مقام (ادعو)، وان العامل في الاسم المنادى (ادعو) المقدّر دون (يا)، والذي عليه الأكثرون هو الراي الأول. ينظر: سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج١: ص٢٩٦، المبرد، المقتضب، (مصدر سابق) ج٢: ص٢٠٢، الأنباري، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت: ٥٧٧هـ)، (١٩٩٨م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريين والكوفيين، ط١، قدّم له ووضع هوامشه فهارسه: حسن حَمَد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج١: ص٣٠٤.

ويقول ابن الحاجب: "والوجه ما قاله النحويون في انّه منصوب بفعل مقدّر دل عليه هذا الحرف المسمّى حرف النداء، وانه كان الأصل، يا (ادعو) زيداً... فلما كثر استعماله حذفوا الفعل تخفيفاً واقتصروا عليه، فكان المُوجِبُ لحذفه كثرةَ استعماله، ووقوع حرف يدل عليه في محله". ابن الحاجب، الإيضاح، ١/٢٥١، وينظر: السّيوطيّ، جلال الدّين عبد الرحمن، (ت: ٩١١هـ)، (١٩٩٢م) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مَكْرم، الكويت، مؤسسة الرسالة، ج٣: ص٣٣.

وذهب بعضهم انّ العامل حرف النداء على انّه اسم فعل، بمعنى (ادعو) كـ(اف) بمعنى اتضجّر، وردّ ذلك بأنّ أدوات النداء لو كانت أسماء افعال لتحمّلت الضمير. السيوطي، همع الهوامع، (مصدر سابق) ج٣ : ص٣٤.

والسهيلي لا يرى ان مردّ النصب تسليط العامل، بل يرى أن المنادى منصوب بعامل معنوي، فهو منصوب بالقصد إليه وإلى ذكره. السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٥٨١هـ)، (١٩٩٢م)، ط١، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، و علي محمّد معوّض، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص٦١٠.

(١٣) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج١:ص٢٩٦.

(١٤) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج١:ص٢٩١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٥) السيوطي، همع الهوامع، (مصدر سابق) ج ٣: ص٣٧.

(١٦) البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، وكان قد اسر في يوم الكلاب الثاني، ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله (ت: ٧٦٩هـ)، (٢٠٠٠م)، شرح ابن عقيل، ومعه كتاب: منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، لبنان المكتبة العصرية، ج ٢: ص٢٣٧.

(١٧) المبرد، المقتضب، (مصدر سابق) ج ٤: ص ٢٠٢.

(١٨) انظر: النحاس، أبو جعفر احمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، (١٩٧٧م)، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، بغداد، العراق، مطبعة العاني، ج٢: ص٦٧، ج٣: ص٦٦٢، والسيوطي، همع الهوامع، (مصدر سابق) ج ٣: ص٣٣، ٣٧.

(١٩) انظر: الكناعنة، عبد الله محمد، (٢٠٠٧م)، الصراع بين التراكيب النحوية دراسة في كتاب سيبويه، إربد، الأردن، دار الكتاب الثّقافي، ص٩٣-٩٤.

(٢٠) ينظر: عبابنة، يحيى، (د.ت)، في النحو العربي المقارن (دراسة تاريخيّة مقارنة بين نحو العربيّة واللغات السّاميّة)، دون ناشر، ص٢٦١.

(٢١) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج٢: ص١٨٢.

(٢٢) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج٢: ص١٨٢.

(٢٣) المخزومي، مهدي، (١٩٨٥م)، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ط٣، دون ناشر، ص٣٠، ٢١٨، ونهر، هادي، (٢٠٠٤م)، التراكيب اللغوية، بيروت، لبنان، دار اليازوري العلمية، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٢٤) الحريزي، عائد كريم علوان، (١٩٧٥م)، فلسفة المنصوبات في النحو العربي، رسالة دكتوراة غير منشورة، القاهرة، مصر، كلية دار العلوم، ص٢٦٣.

(٢٥) الحريزي، فلسفة المنصوبات في النحو العربي، (مصدر سابق) ص٢٦٣-٢٦٤.

(٢٦) انظر: المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص٢١٤-٢١٥.

(٢٧) ابن جنّي، ابو الفتح عثمان (ت: ٣٩٢هـ)، (د.ت)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، بيروت، لبنان، المكتبة العلميّة، ج ١: ص١٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢٨) انظر: المخزومي، مهدي، (١٩٨١) في النحو العربي نقد وتوجيه، ط٢، بيروت، ص٣٨.

(٢٩) انظر: السيوطي، همع الهوامع، (مصدر سابق) ج٢: ص٢٥.

(٣٠) أيوب، عبد الرحمن محمد، (د.ت)، دراسات نقدية في النحو العربي، بيروت، لبنان، مؤسسة الصباح، ص١٢٩.

(٣١) انظر: عبابنة، تطور المصطلح النحوي البصري، (مصدر سابق) ص٢٠٩.

(٣٢) السامرائي، إبراهيم، (١٩٦٦م)، من أساليب القرآن، ط١، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، عمان، الأردن، دار الفرقان، ص٤١.

(٣٣) عابدين، عبد المجيد، (١٩٥١) المدخل إلى علم اللغة المعاصر، القاهرة، ص٦٢.

(٣٤) المنادى المبهم: وهو قولك: يا أيها الرجل، ويا هذا الرجل، وشبهه، فـ(أيٌّ) منادى مبهم، والرجل وصف له، وكذلك (هذا) وسائر أسماء الإشارة. عبابنة، تطور المصطلح النحوي البصري، (مصدر سابق) ص٢١٥.

(٣٥) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) ج٢: ص١٨٢.، وابن عقيل، شرح ابن عقيل، (مصدر سابق) ج ٢: ص٢٣٦.

(٣٦) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، (مصدر سابق) ج١ : ص٣٠٤.

(٣٧) الشاهد بغير نسبة في: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت: ٧١١هـ)، (د.ت)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة، مصر، دار المعارف، (حنا)، ج٢: ص١٠٣٣، وفي سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق)ج٢: ص١٨٣.

(٣٨) سيبويه، الكتاب، (مصدر سابق) (الحاشية) ج ٢: ص١٨٣، ١٨٤.

(٣٩) ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١هـ)، (٢٠٠٩م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مصر، دار الطلائع، ص٣٧٣.

(٤٠) ابن جني، الخصائص، (مصدر سابق) ج ١: ص١٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١١) ابن مضاء، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد القرطبي (ت: ٩٢هـ)، (١٩٨٢م)، الرد على النّحاة، ط٢، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، مصر، دار المعارف، ص٨٠.

(١٢) ذهب بعض البصريين إلى أن (يا) لم تقم مقام (ادعو) وأن العامل في الاسم المنادى (أدعو) المقدر، دون (يا)، والذي عليه الأكثرون هو الراي الأول. الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، (مصدر سابق) ج١ : ص٣٠٤.

(١٣) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، (مصدر سابق) ج١ : ص٣٠٤.

(١٤) الحريزي، فلسفة المنصوبات في النحو العربي، (مصدر سابق) ص٣٦٣.

(١٥) الكوفي، نجاة عبد العظيم، (١٩٨٧م)، بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو، القاهرة، مصر، دار النهضة العربية، ص١٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner